

البناء الأسري بين السنن الكونية والظروف الاستثنائية (دراسة منهجية)

أ.د. محمد خالد اسطنبولي

جامعة أدرار

المقدمة:

إن الله خلق هذا الإنسان وأبدع في خلقه، فهو جسد وروح، فالجسد يشد صاحبه إلى الأرض التي منها خلق ويغريه بها، أما الروح فتشد صاحبه إلى العلو في ملكوت السماء عابدة وطائعة منية لربها ومن خلال هذا التجاذب الرائع أمر الله عباده بالعبودية بقوله: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} هذه العبودية هي وفق شريعة محكمة من رب الوجود جعلها تحظى بالشمول والتكامل وصالحة لكل زمان ومكان، فكل عمل في هذا الوجود يجب أن يكون باسم الله فالتقرب إلى الله يكون بالفرائض والعمل وبالكد وإعمار هذه المعمورة والاستخلاف فيها.

(البناء الأسري بين السند الثوبية الظروف الاستثنائية (وراسة منهجية).....أو محمد خالدر (سطنبولي)

و موضوع هذه المداخلة هي ظاهرة تأخر الزواج الذي كان في الأول أمر فطري كوني، لا تعترية العادات والتقاليد التي أخرجته عن مهمته الأصلية التي أرادها الله إلى تصرفات هشة عصفت بالزواج وسره وأصبحت ظاهرة تأخر الزواج هي مشكلة مستعصية على كبار العلماء والمفكرين، هذه المداخلة تتحدث في محاور مترابطة لعلاج هذه الظاهرة.

فأول محور أبيت فيه مقاصد الزواج وضرورته وبعض أحكامه.

تم يليه محور عن الزواج التي أصابه الترهل بسبب الابتعاد عن منهج الله .

ثم أتكلم على أنواع من الزواج تصلح للبعض لأنها أضحت واقعا .

و أختم بالكلام عن ظاهرة تأخر الزواج أسبابها وعلاجها الأصلي والوقائي والله من وراء القصد .

. المبحث الأول:

البناء الأسري سنة كونية هو : الزواج الأصل

. المطلب الأول : البناء الأسري نظرة مقاصدية

إن هذا البحث غير معني بهذه الجزئية لأن الكل يعرفها، إنما في إطار المقارنات اضطرت إلى الاستهلال بها كأصل انطلاق وأصل وجود واستمرار النسل هو سنة فطرية وكونية في هذا الوجود، كيف لا، وحفظ النسل يعد من الكليات الخمس الضرورية وهذا المعنى حدده ابن عاشور قائلا وأما حفظ الأنساب .و يعبر عنه بحفظ النسل...ذلك أنه إن أريد به حفظ الأنساب أي النسل من التعطيل فظاهر غده من الضروري، لأن النسل هو حلقة أفراد النوع، فلو تعطل يؤول تعطيله إلى اضمحلال النوع وانتقاصه، كما قال لوط لقومه: {وتقطعون السبيل} العنكبوت 29... فبهذا المعنى لا شبهة في عده من الكليات

(البناء الأسري بين السند الثبوتية والظروف الاستثنائية) (وراسة منهجية).....أ.و.محمدر خالهر (سطنبولي)

لأنه يعادل حفظ النفوس ... وأما إن أريد بحفظ النسب حفظ انتساب النسل إلى أصله وهو الذي لأجله شرعت قواعد الأنكحة، وجرم الزنا وفرض الحد، فقد يقال إن عده من الضروريات غير واضح، إذ ليس بالأمة من الضرورة إلى معرفة أن زيدا هو ابن عمرو وإنما ضرورتها في وجود أفراد النوع وانتظام أمرهم ؛ ولكن في هذه الحالة مضرة عظيمة .. ولكنه (أي النسب) لما كانت لفوات حفظه من مجموع هذه الجوانب عواقب كثيرة سيئة يضطرب لها أمر نظام الأمة وتنخرم بها دعامة العائلة اعتبر علماؤنا حفظ النسب في الضروري لما ورد في الشريعة من التغليظ في حد الزنا، وما ورد عن بعض العلماء من التغليظ في نكاح السر والنكاح بدون ولي وبدون إلهاد ...¹

وحتى يتم حفظ النسب وهو كلي وضروري؛ ونحفظه من التلاعب به نقرر أن كل نكاح اتفق عليه أو مما اختلف فيه كما سآين يجب أن يوثق رسميا مدنيا أي البلدية أو عدليا عند الموثق فهذه مسلمة أنطلق منها؛ وهذا ما نوه إليه بن عاشور بأن انتظام أمر العائلات في الأمة أساس حضارتها وانتظام جامعته فلذلك كان الاعتناء بضبط نظام العائلة من مقصد الشرائع البشرية كلها، وكان ذلك من أول ما عني به الإنسان المدني في إقامة أصول مدنيته بإلهام إلهي روعي فيه حفظ الأنساب من الشك في انتسابها . ولم تزل الشرائع تعتني بضبط أصل نظام تكوين العائلة الذي هو اقتران الذكر بالأنثى المعبر عنه بالزواج أو النكاح، فإنه أصل تكوين النسل، وتفرع القرابة بفروعها وأصولها، واستتبع ذلك ضبط نظام الصهر، فلم يلبث أن كان لذلك الأثر الجليل في تكوين نظام العشيرة فالقبيلة فالأمة، فمن نظام النكاح تتكون الأمومة والأبوة والبنوة. ومن هذا تتكون

¹مقاصد الشريعة الإسلامية للشيخ محمد الطاهر بن عاشور تحقيق الشيخ محمد الحبيب ابن خوجة ط الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني أمير دولة قطر - ط 1425 هـ 2004 م (239/2-240)

(البناء الأسري بين السند الفوني والظروف الاستثنائية (وراسة منهجية).....أ.و.محمدر خال (سطنبول)

الأخوة وما دونها من صور العصبية . ومن امتزاج رابطة النكاح برابطة النسب والعصابة تحدث رابطة الصهر، وجاءت شريعة الإسلام مهيمنة على شرائع الحق، فكانت الأحكام التي شرعت للعائلة أعدل الأحكام وأوثقها وأجلها¹ .

و نظام هذه مقاصده هو نظام بالغ الروعة والإحكام وهو يمثل كمال القدرة والإبداع في هذا الكون الفسيح ؛ إنه جزء من النظرة الإسلامية الشاملة للحياة والأحياء، تلك النظرة التي لا تقصر عن شيء ولا يغيب عنها شيء، فهي تجمع إلى رعاية الواقع الإنساني وهدايته بنور السماء، ومنذ خمسة عشر قرنا تقوم الأسرة المسلمة قوية فتية لتثبت صدق نظرة الإسلام إلى الإنسان وخبرته بضروراته وحاجاته ورعايته لمشاعره ونوازه .

.المطلب الثاني: ضرورة الأسرة بين الواجب الشرعي والاستجابة الفطرية

حث الإسلام على تكوين الأسرة ودعا الناس أن يعيشوا في ظلها إذ هي الصورة المثلى للحياة المحترمة التي تليبي رغبات الإنسان وتفي بحاجاته، وهي الوضع الفطري الذي ارتضاه الله لحياة البشر منذ فجر الخليقة. قال تعالى: {ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية { الرعد 37 .

وتلك هي فطرة الحياء والأحياء والإنسان مطالب باحترامها والنهج على هداها.

{ فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله { الروم 30 .

و في دعوة الإسلام إلى حياة الأسرة وترغيبه في إقامتها تبرز لها وظائف جليلة ذات أثر فعال في حياة الفرد والمجتمع إذ هي نعمة من نعم الله وآية من

¹ المقاصد ابن عاشور (421/3) الثقافة الإسلامية ص 7

آياته { ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون } الروم 21 .

بل هي نعمة ورحمة وفضل من الله كالطيبات من الماء والغذاء { والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة، ورزقكم من الطيبات { النحل 72 . والإنسان مفتقر إلى تلك النعمة في مراحل عمره جميعا، ومن هنا فإن الأسرة أصل راسخ من أصول الحياة البشرية لا تستغني عنها أمة ولا جيل.

ومن هنا حث الإسلام على الزواج فقد روي عن أحمد أنه قال : ليس العزوبة من أمر الإسلام في شيء . النبي صلى الله عليه وسلم تزوج ثم قال لو كان بشر بن الحارث قد تزوج كان قد تم أمره كله، ومن هنا كان الترويج لبناء الأسرة، قال تعالى : { وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم } النور 32، وهون الله الأمر على من قدر عليهم الرزق، وكفل لهم التوسعة والغنى فقال تعالى : { إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله } النور 32 . وقد رغب الإسلام في الزواج وطلب الذرية فقال تعالى : { ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين } الفرقان 74 .

وحدث المصطفى صلى الله عليه وسلم بقوله : "تناكحوا تكاثروا" وقوله "من كره فطرتي فليس بسنتي وإن من سنتي النكاح" رواه أبو يعلى بإسناد حسن. والزواج حق غريزي تطلبه الفطرة، وفي الأسرة تلبية مأمونة لحاجة الغريزة بين الزوجين منظور فيه على مصير النسل، وتفي بالإتباع وتتجنب الفوضى والتدمير، وقد عبر محمد قطب عن هذا المعنى قائلا : " فهى أولا تكسر من حدة الشهوة المجنونة، لأن الإنسان بفطرته يزهد في كل شيء يملكه، ... فمن ناحية الغريزة الجنسية ذاتها نجد الأسرة هي المنظم الطبيعة لانطلاق

(البناء الأسري بين السنن الثبوتية والظروف الاستثنائية) (وراسة منهجية).....أو محمد خالر (سطنبولي)

الشهوة بالصورة التي تمنع دمار الجسد وعذاب اللهفة الدائمة، وتمنح الفرد السوي في الوقت ذاته نصيبا معقولا من المتعة الجسدية فينتهي بها الرضا والإرتواء " ¹

و إذا علمنا بأن الإنسانية كلها أسرة كبيرة ولن يستطيع الإنسان أداء واجبه فيها إلا من تمرس بأداء الواجب في أسرته الصغيرة قال تعالى: { يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام، إن الله كان عليكم رقيبا } لانساء 1 .

المطلب الثالث : الأحكام الضرورية للزواج .

في هذا المقام لا يمكن أن أستعرض كل أحكام النكاح وإنما أحدد بعض المفاهيم لأهميتها وأبدأ ب أركان النكاح عند المالكية هي ثلاثة إجمالا: المحل (الزوجان)، الولي والصيغة ² .. وهذه لا أفصل فيها لأنها معلومة عند الجميع بالضرورة .

ثم شروط النكاح الشرعية: وهي ما اشترط الشارع وجوده لصحة العقد وهذه اثنان، الشهود والصداق ³ .

هذه الأحكام لا تشكل عادة اختلافا جوهريا يؤثر على عقد النكاح أو على النكاح نفسه. ولكن سأركز بعض الشيء على الحقوق المترتبة على عقد الزواج .

¹ الإنسان بين المادية الجدلية والإسلام . محمد قطب . ص 174

² الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية - د / عبد القادر داودي - دار البصائر الجزائر - ط 2007 ص 54 .

³ المرجع نفسه ص 135 .

الفرع الأول : الحقوق المترتبة على عقد الزواج¹

لقد رتب الشارع الحكيم على عقد الزواج حقوقا مشتركة بين الزوجين، وحقوقا للزوج على زوجته، وحقوقا للزوجة على زوجها، وبمراعاة هذه الحقوق والقيام بتلك الواجبات تسير الحياة الزوجية سيرا حسنا وذلك لأن هذا العقد - أي عقد الزواج - سماه الله { ميثاقا غليظا } النساء 21 . وأمر الله الوفاء بالعقود { يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود } المائدة 1 .

1. حقوق الزوجية :

أ. النفقة: وهي تشمل كل نفقات المرأة وتكاليف معاشها وهي تشمل الطعام والكسوة والسكن والعلاج والمتطلبات الضرورية منها والحاجية أو التحسينية ...

ب . حسن المعاملة: ومن حقوق المرأة على زوجها أيضا حسن المعاملة وإحسان معاشرتها وعدم الإضرار بها قولاً أو فعلاً .

2. حقوق الزوج :

أ. حق الطاعة : أن تطيع الزوجة زوجها وتحفظه في نفسه وماله عند حضوره، أو في غيبته .

ب . القرار في البيت : من حق الزوج على زوجته أن تقر وتقيم معه في سكن الزوجية للإيفاء بمطالب الزوجية وتحقيق السكينة والعناية بالبيت والأولاد مقابل تكليفه بواجب النفقة والرعاية.

¹الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية . د/داودي - (ص181)

(البناء الأسري بين (السند) (الدونية) والنظرة (الاستثنائية) (وراسة منهجية).....أ.و.محمد خالدر (سطنبدلي)

ج . القيام على شؤون البيت ورعايته : وهذا أمر جبلي جبلت عليه النساء وتعارفت عليه المجتمعات في مختلف العصور والأماكن، وهو تولي النساء مهمة الطبخ والتنظيف، والترتيب وما شابه من أشغال البيت .

3. الحقوق المشتركة بين الزوجين :

أ. حق المعاشرة الزوجية: وهو الحق الأصلي والمشارك بينهما وما يقتضيه الطبع الإنساني والفطري في ميل كل جنس إلى الآخر مما هو محرم إلا بالزواج وهو حق الفراش .

ذكرت هذه الأحكام مختصرة لأن المقام يحتم هذا وسنفصل في أمور أخرى إن شاء الله .

المبحث الثاني: الزواج الشرعي المترهل

إن المتتبع في قضايا المجتمع يلاحظ مشاكل عديدة ومتنوعة في الحياة الأسرية فإذا كانت نسبة الطلاق مرتفعة جدا في الزيجات الحديثة قد تصل إلى 40% ففي الطرف الآخر نسبة كبيرة من المتزوجات غير سعيدات في بيوتهن، وكذا أزواج غير سعداء ؛ إذن أين الخلل ؛ فالعقد . عقد الزواج . قد اشتمل على أركانه وشروطه، بل حتى بعض الحقوق بين الطرفين قد تحققت، إنما الإشكال قد يتمركز ويخص قضايا بعينها خصوصا على سبيل المثال لا الحصر . وأحدد حسن المعاشرة على التحديد .

أ. وجوب الاستمتاع المشترك بين الزوجين :

حينما يتورع المفكرون الإسلاميون عن الخوض في مسائل لم يتورع عن الخوض فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فإن ورع هؤلاء المفكرين ورع كاذب . ولقد تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسائل

(البناء الأسري بين السنن الكونية والظروف الاستثنائية) (وراسة منهجية).....أ.د. محمد خالد (سطنبولي)

العلاقة الجنسية بين الزوجين وأجاب السائلين عن دقائقها رجالا ونساء، بل وأمر بعض أمهات المؤمنين أن ترشد امرأة إلى شأن من أخص شؤون النساء، لا يجوز لرجل أن يتحدث به إلى امرأة .

فوجد شيوخنا . عافاهم الله . أغلقوا هذا الباب وحاموا حوله، فتحدثوا عن أدب الخطبة، وأدب الزفاف، .. إلا في العلاقة الجنسية...

كيف تعالج العيوب النسائية التي تنتهي بالطلاق وكذا عيوب الرجال التي تحدث عنها الفقهاء بالتفصيل .

. ما إسعاد السكن الذي شرع الزواج من أجله ؟

. كيف تكون المرأة لباسا للرجل، والعكس ..؟

والحق أن أهل الحياء الكاذب والورع المزيف جهلوا وما علموا !!!

جهلوا أن الشريعة حينما تعنى بالتثقيف الجنسي، فإنما تعنى بإحدى شهوتين تقوم عليهما الحياة ؛ ومن أجلهما كان التشريع كله، فهذا الحشد الهائل من تشريع الحلال والحرام إنما هو من أجل تعديل هاتين الشهوتين على طريق صحيح يؤدي إلى قيام العمران وإلى انطلاق الدعوة إلى مداها، ألا وهما شهوتا البطن والفرج . وجهلوا أن أعداء الإسلام الذين يتخوفونهم إنما رضوا منحياتهم بعقيدة مضطربة، وإباحية مخربة أنسوا إلى الرذيلة ...

و هذا كله يجرنا إلى أسباب كارثية تبدأ بغلطة من زوج أو زوجة، جهلا في أول حياتهما بتعاليم الإسلام في آداب اللقاء الجنسي وأصوله، ونفس عنيدة تستبد بالخطأ، وتدافع عنه، وتثور من أجل كشفه، وينتهي الحال إلى نفور ثم بحث عن سكن صناعي على غير الوجه الصحيح ...

(البناء الأسري بين السنن والفنية والظروف الاستثنائية) (وراسة منهجية).....أو محمد خالد (سطنبولي)

هكذا يصل الحال بمجتمعات المسلمين، والسبب هو جهل وإهمال... وقد تكلم في هذا الباب كبار العلماء في موسوعاتهم، فقد أفاض ابن قدامة في كتابه "المغني" والكاساني في كتابه "بدائع الصنائع"، والنووي في كتابه "المجموع"... وهناك كتب لمعاصرين مثل الأسرار الخفية في الحياة الزوجية لمحمد السيد الخولي، ورسالة ماجستير د. زينب شرقاوي بعنوان أحكام المعاشرة الزوجية...¹

و إن أرى أن من مقاصد الزواج تكسير الشهوة الجنسية فعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة، فليتزوج فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء" صحيح البخاري .

و يقول الإمام أبو حامد الغزالي : "و من بدائع ألطافه أن خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا، وسلط على الخلق شهوة اضطر بها إلى الحرثاء جبرا، واستبقى بها نسلهم اقهارا وقسرا... وندب إلى النكاح وحث عليه استحبابا وأمرأ، فإن النكاح معين على الدين، ومهين للشياطين وحصن دون عدو الله حصين، وسبب لتكثير الذي به مباهاة سيد المرسلين لسائر النبيين " و يقول الإمام الغزالي كذلك: " ... إن الشهوة إذا هاجت فهي أقوى آلة للشيطان على بني آدم... "²

¹ الأسرار الخفية في الحياة الزوجية . محمد السيد الخولي - دار اليقين مصر المنصورة ط 1

1429 هـ 2008 م (ص 7-14) بتصرف

² إحياء علوم الدين (2-21 و 27)

(المبناء الأسري بين السنن الكونية والظروف الاستثنائية) (وراسة منهجية)..... د.و. محمد خالدر (سطنبولي)

ولقد اعترف الإسلام بهذه الغريزة فقال تعالى: { زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين ... } آل عمران 14 وجاء في الأثر أن أكبر فتنة للرجل هي المرأة " ما تركت من فتنة أضل على الرجال من النساء " .

و الذي ألاحظه في كتب الفقهاء في هذا الموضوع يعبرون بـ (يحل) أو (يجوز) فأرى والله أعلم أن حق الرجل على المرأة أن تمتعه بهذا الحق ويصير إمتاعها له واجبا، وكذا حق المرأة على الرجل أن يمتعها وهذا واجب في حقه، وهذه الثقافة للأسف هي ضحلة عند المسلمين بشهادة كثير من علمائها و اقرؤوا إن شئتم التربية الجنسية (د/يوسف القرضاوي).

و الذي أنهى إليه أنه عندما يحصل الجهل بهذه القضية، النتائج تكون كارثية بدءا بالطلاق فالنشوز، فالفوضى العائلية، عدم الاستقرار، ارتكاب الحرام، الخيانة ...

و إذا علمنا بأنه مع هذه الثقافة الضحلة نضيف إليها ما يخطئه المتربصون لإفساد الشعوب فقد جاء في كتاب بروتوكولات حكماء صهيون : " يجب أن نعمل لتنهيار الأخلاق في كل مكان فتسهل سيطرتنا... إن فرويد منا، وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس لكي لا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس، ويصبح همه الأكبر هو إرواء غرائزه الجنسية، وعندئذ تنهار أخلاقه " ويقول "ول ديورانت" الفيلسوف الأمريكي في كتابه "مناهج الفلسفة " ... فحياة المدنية تفضي إلى كل مشبط عن الزواج، في الوقت الذي تقدم فيه إلى الناس كل باعث على الصلة الجنسية وكل سبيل يسهل أدائها، ولكن النمو الجنسي يتم مبكرا، كما يتأخر النمو الإقتصادي وفي حضارة صناعية أجلت الزواج حتى بالنسبة للرجال حتى لقد يصل إلى سن الثلاثين، ولا مفر من أن يأخذ الجسم في الثورة، وأن تضعف القوة على ضبط النفس عما كان في الزمن القديم،

(البناء الأسري بين السند والقرينة والظروف الاستثنائية) (وراسة منهجية)..... أ.و. محمد خال (سطنبولي)
وتصبح العفة التي كانت فضيلة موضعاً للسخرية، ويختفي الحياء، ويفاخر الناس
بتعداد خطاياهم.... (ص 126-127) ¹.

إذا كانت هذه الشهادات قدمت منهم من حوالي نصف قرن فماذا نقول
الآن أمام هذه التحديات التي تترى علينا من كل حذب وصوب .

و أختتم كلامي عن هذه الجزئية معلناً أنني خشيت اقتحامها، ومع ذلك
تركت الكثير لأنه لكل مقام مقال الله المستعان .

ب . العلاقة بين الزوجين بالمعروف (فن ومهارة) :

و من حق الزوجة على زوجها أن يحسن عشرتها ويجمل معها التصرف
فيلين القياد وتهون الرحلة وتخف مشاق الطريق .

وقد جاء في خطبة الوداع مرفوعاً عن النبي صلى الله عليه وسلم
"استوصوا بالنساء خيراً فإنهن عوان عندكم لستم تملون منهن شيئاً غير ذلك،
إلا أن يأتين بفاحشة مبينة" البخاري

و عنه صلى الله عليه وسلم: " استوصوا بالنساء خيراً فإنهن خلقن من
ضلع أعوج، وأن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن
تركته لم يزل أعوج " البخاري. وقال كذلك: "خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم
لأهلي " الترمذي .

وقد جاء في سورة النساء قوله تعالى: {و عاشروهن بالمعروف} النساء 19
أي أن الإسلام يوصي بالإغضاء والمسامحة والإعراض عن الهفوات، قال
الإمام الغزالي: " وللمرأة على زوجها أن يعاشرها بالمعروف وأن يحسن خلقه
معها، قال: وليس حسن الخلق معها كفاً لأذى عنها، بل احتمال الأذى منها،

¹ التطور والثبات في حياة البشر - ط دار الشروق مصر - 1394 هـ 1974 م ص 161

(البناء الأسري بين السنن والظروف الاستثنائية) (وراسة منهجية).....أ.د. محمد خالد (سطنبولي)

والحلم عن طيشها وغضبها اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد كان أزواجه يراجعنه الكلام وتهجره إحداهن إلى الليل. قال : وأعلى من ذلك أن الرجل يزيد على احتمال الأذى بالمداعبة فهي التي تطيب قلوب النساء ثم ختم سبحانه الآية : {فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا} وجاء في الحديث المرفوع : "لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا رضي منها آخر " متفق عليه . وبعد هذا العرض التأصيلي نجد أننا وصلنا إلى وضع خطير في العائلة المسلمة، الصراخ والعويل، والضرب والتشريد ...

عائلة هكذا وضعها كيف يستقيم أمر هذه الأمة مع هذه الوضعية؛ هذا ليس عاما في كل المجتمع ولكن الترهل الأسري صار ظاهرة يجب الانتباه لها؛ ولعل هذا ما تنبه له المسلمون في ماليزيا فقد سنت دولتهم أن من أراد الزواج فعليه أن يتربص في دورة تدريبية في العلاقات الزوجية مدتها 15 يوما بعدها تتوج بشهادة نجاح وهذا خاص بالجنسين، والآن في الغرب وحتى في الشرق الإسلامي دورات تدريبية في العلاقات الزوجية حري لكل مسلم أن يتربص ويتعرف على معارف مهمة جدا في الحياة الزوجية، بل وفي فهم النفسيات الخاصة بكل جنس وهذه هي عمق مهارات وفنيات الاتصال الفعال والعميق.

المبحث الثالث : الزواج الاستثنائي في حالة الطوارئ

أنا ما كنت لأبتدع هذا التقسيم إلا عن خلفية شرعية مقاصدية سأفصح عنها قريبا .

لقد استهللت مداخلتني بالكلام عن البناء الأسري الأصل وأنه هو الأصل الشرعي وسنة الفطرة وهو أصل في السنن الكونية وهو مقصد الشارع للحياة الهنية للإنسان حتى يعيش الشمولية والتكامل في حياته هذا للمسلمين خاصة والعالمين عامة .

أما القسم الثاني من الزواج الذي أتحدث عنه هو الزواج الذي تم بعقد صحيح لكن وقع فيه الخلل والترهل وقد عم هذا النوع وطم فهذا الزواج يشك أحد في صحته لكنه لا يحقق مقصده بالكلية والتمام نظرا للخلل الذي أحدثه البشر بجهلهم وبسكوت العلماء عن هذه النقائص بحجة العادات والتقاليد والعفة المغشوشة والورع البارد .

أما الآن وأنا بصدد الحديث عن الزواج الاستثنائي، أو زواج الطوارئ؛ الذي هو ليس أصلا، ولا يصلح للجميع ؛ ولكنه كضرورة وعلاج لا بد منه.

إن في هذا المجتمع الذي انحرف عن النهج القويم بل وفي بعض الأحيان عن الفطرة السليمة نجد ترساة من أخواتنا العوانس اللواتي أشرفن على سن الخمسين؛ وترساة أخرى من الرجال الذين بلغوا من الكبر عتيا من غير زواج ؛ وفي المقابل ترساة من الأمهات العازبات اللواتي وقعن فريسة للذئاب البشرية وفرض عليهن هذا الوضع الذي أصبح واقعا مشؤوما نعيشه؛ هذا الوضع الذي خلف لنا بالمقابل ترساة من الأطفال المسعفين (اللقطاء) الذين لا ذنب لهم، وهم ضحية الرذيلة والانحراف وقد ضاقت بهم مراكز النشاط الاجتماعي. هذه الفئة يرمى بهم في بحر لجي خطير في سن السابعة عشرة وهم لا يحسنون السباحة بل محال عليهم أن يتعلموها...و لا أريد أن أسود لكم المقام، ولا المكتوب بهذه المنغصات التي ينفطر لها قلب المسلم الغيور بل حتى غير المسلم لأنه أمر إنساني بالأصالة.

ولا أدعي أنني آتي بجديد إذا قلت بأن إشباع الغريزة الجنسية لدى المسلم هي أولى أولويات الزواج وهذا الذي قرره الفقهاء ولولا هذه لما كان نسل، ولا أسرة، ولا بنوة، ولا أبوة، ولا عاطفة ولا تواصل ولا حياة .

(البناء الأسري بين السنن الفورية والظروف الاستثنائية) (وراسة منهجية)..... (أ.و. محمد خالدر (سطنبولي

العالم المنحرف اليوم تجارته ودعايته هي المرأة والجنس وهذا لا يخفى على عاقل والمسلم اليوم أمام هذه التحديات والتداعيات التي لم يسبق لهذه الأمة أن امتحنت بها حتى زمن النبوة .

و مع هذا نجد أن المشرع الكريم قد نبه لمسألة الغريزة ورخص في المتعة لعدة أسباب منها على سبيل المثال حداثة العهد بالجاهلية بل وبعض الأنكحة المتعارف عليها في ذلك الوقت، وبشدة العزوبة وخطرها على شباب الصحابة وبالذات في الغزوات . ثم حرمت ونسخ العمل بها رغم أن الشيعة ما زالوا يبيحونها ويعتبرونها حلا لهذه المشكلة .

والآن ونحن أمام هذه الوضع الرهيب والخطير والمزري أرى من الواجب على العلماء أن يعيشوا واقعهم ويقدموا حلولاً لجراح طال اهترأها. ولا أدعي عندما أقدم بعض أنواع الأنكحة المستجدة أنها تكون البلسم والعلاج الشافي ولكن حتما ستخفف من حجم المشكلة .

المطلب الأول: الزواج المسيار¹

عرفه الشيخ القرضاوي : " هو زواج شرعي يتميز عن الزواج العادي بتنازل الزوجة فيه عن بعض حقوقها على الزوج مثل ألا تطالبه بالنفقة والمبيت الليلي إن كان متزوجا ؛ وفي الغالب يكون زواج المسيار هو الزواج الثاني أو الثالث وهو نوع من تعدد الزوجات ...

و يقول عنه الشيخ عبد الله بن منيع : الذي أفهمه من زواج المسيار وأبني على فهمي ما أفتي به فهو مستكمل لجميع أركانه وشروطه فهو زواج يتم بإيجاب وقبول (رضا الطرفين) والولاية والشهادة والكفاءة . وفيه الصداق المتفق

¹ زواج المسيار - سودان صليحة - مذكرة تخرج سنة 2001 جامعة أدرار

(البناء الأسري بين السند والثنية والظروف الاستثنائية) (وراسة منهجية).....أو محمد خال (سطنبول)

عليه، وبعد إتمامه تثبت لطرفيه جميع الحقوق المترتبة على عقد الزوجية من حيث النسل والإرث والعدة والطلاق واستباحة البضع والسكن والنفقة وغير ذلك من الحقوق والواجبات إلا أن الزوجين قد ارتضيا ألا يكون للزوجة حق المبيت أو القسم، وإنما الأمر راجع للزوج متى رغب زيارة زوجته في أي ساعة من ساعات اليوم واللييلة فله ذلك¹ .

و من أسبابه بعضها يعود إلى الرجال وهي حاجة بعض الرجال إلى التعدد رغبة في المعاشرة الجنسية، إما لعدم اكتفائه بواحدة، أو زوجته الأولى مريضة... أو لا تسمح له في التعدد وقد لا يسمح له أولاده بالزواج فيرى الحل في هذا الزواج .

أما بالنسبة للأسباب الخاصة بالمرأة فهو وجود عدد كبير من النساء في المجتمعات الإسلامية بلغن سن الزواج ولم يتزوجن أو فارقهن الأزواج بموت أو طلاق علما بأن نسبة أعداد النساء أضعاف الرجال وكذلك المرأة لها غريزة تريد إشباعها وتريد ولدا يملأ عليها حياتها ...

. حكمه :

أباحه مع الكراهة د/ يوسف القرضاوي والشيخ سعود الشريم والشيخ عبد الله بن منيع .. وحرمة آخرون منهم وهبة الزحيلي وغيره ² .

¹المسيار مذكرة ص 5

²المسيار مذكرة سودان ص 17 .

المطلب الثاني : أنواع أخرى من الأنكحة المستحدثة

أ. الزواج (الخاص بالطلبة) :

و يسميه البعض (زواج الأصدقاء) وهو زواج يتم بين رجل وامرأة من غير سكن مشترك ؛ ويتم كل هذا بعقد شرعي يتم بالتراضي الحر المطلق، وبإيجاب وقبول مع شاهدين وولي وتتوافر شروط الزواج لكنه يفقد ظروف العيش المشترك .

أسبابه كثيرة : أزمة السكن، انعدام المورد أو الدخل الوظيفي، اختلاف المكان الوظيفي أو مكان العمل .

قال وهبة الزحيلي: ومما يؤسف له أن بعض المتحدثين عن الإسلام ودعوته أفتى بمشروعية هذا الزواج لحل أزمة السكن وتجاوز مشكلات المعيشة¹. وفي علمي الذي أحله هو الشيخ عبد المجيد الزنداني .
و أترك تعليقي في الأخير..

ب. الزواج بنية الطلاق :

قال مالك، ولا بأس أن يتزوج المرأة ليقضي فيها لذته وليس ينوي إمساكها، ولكنه ليس من الجميل ولا من أخلاق الناس، ورب امرأة لو علمت ذلك ما رضيت، وقال محمد : ولو علمت قبل النكاح كانت المتعة بعينها .

فإضمار نية التطليق من قبل الرجل في نفسه دون أن يظهر ذلك للمرأة أو يتفق معها عليه لا يضر بالعقد لكنه مخالف للأخلاق وفيه خداع ظاهر للمرأة

¹قضايا الفقه والفكر المعاصر - وهبة الزحيلي ص 97

(البناء الأسري بين السند الثونية والظروف الاستثنائية (وراسة منهجية).....أ.و.محمدر خالدر (سطنبولي

مناف لمقاصد الإسلام في النكاح المبني على التأييد وابتغاء السكنية والمودة والرحمة، وليس قضاء الشهوة فقط¹.

و هناك أنواع أخرى متعددة لا أريد الإطالة فيها .

و بالمختصر المفيد أنا أدعو إلى التعامل بهذه الأنواع من الأنكحة للناس جميعا وإنما إذا كانت من باب الترخيص في بعض الأحيان مع الظروف الاستثنائية فأنا أرى أنه لا بأس به.

إذا ما قارنا هذه الأنواع مع نكاح المتعة المحرم بإجماع أهل السنة فهذه الأنكحة أولى .

أما إذا أعدنا الكلام عن الفتن والمرأة وتخطيط اليهود ... فأرى أن مثل هذه الأنواع من الأنكحة ستخفف من آلام المجتمع .

المبحث الرابع : تأخر الزواج . الظاهرة والعلاج².

ابداً في البداية لأعطي بعض الإحصائيات ..

العنوسة في الجزائر: في الجزائر كشفت الأرقام الرسمية التي أعلنها الديوان الجزائري للإحصاء أن أكثر من 51 % من نساء الجزائر الذين بلغوا سن الإنجاب يواجهون خطر العنوسة وأن هناك أربعة ملايين فتاة لم يتزوجن رغم تجاوزهن الرابعة والثلاثين عاماً، موضحاً أن عدد العزابات بالجزائر تخطى 18 مليون من عدد السكان البالغ 30 مليون وأن نسبة المطلقات بلغت 39.9 %

¹ بلغة السالك (365/1) النوادر والزيادات (558/4) ينظر الأحكام الشرعية في الأسرة - داودي (174-173)

² العنوسة - أسبابها - آثارها - علاجها - د/عبد المنعم عثمان عبد الله - ط الآفاق العربية مصر ط 1، 1426هـ 2005 م العنوسة ... المراد بها هنا تأخر الزواج عند الرجل والمرأة

(البناء الأسري بين السنن الدونية والظروف الاستثنائية (دراسة منهجية)..... د. محمد خالد (سطنبولي)

وباقى دول العالم العربى والإسلامى تتقارب هذه النسب .

و من أسباب هذه الظاهرة ..

1. الاشتطاط فى المهر

2. مطاوعة البنت فى رفضها للمتقدمين دون مبرر شرعى

3. منع المرأة من الرجوع إلى مطلقها

4. التعنيس بسبب الطمع المادى

5. مواصلة التعليم والإنشغال بالدراسة

6. القبح والدمامة

. تأخر الزواج .. الوقاية والعلاج

1. أول ما أبدأ به وهو الأصل والأساس هو الرجوع إلى الله والمسألة الإيمانية مسألة جوهرية ومهمة لأن الله عز وجل يقول : {من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجنيه حياة طيبة }

وقوله تعالى : {و من أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكى }

و قوله تعالى : { فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم }

و يقول الأستاذ محمد قطب : "الإسلام دين ومزيته أنه يساير الفطرة ويطابقها مطابقة تامة . فطريقة الإسلام فى التربية هى معالجة الكائن البشرى كله معالجة شاملة لا تترك منه شيئا ولا تغفل عن شيء - جسمه وعقله وروحه، حياته المادية والمعنوية، وكل نشاطه على الأرض، فإله افتتح سورة النساء {بسم الله الرحمن الرحيم، يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة

(البناء الأسري بين السند الفوني والظروف الاستثنائية) (وراسة منهجية).....أ.د. محمد خال (سطنبول)

وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا { النساء 1 .

أربع قضايا متوالية. تحدد الجانب الثابت من حياة البشرية... قضية الربوبية، قضية وحدة الإنسانية، قضية وحدة الجنسين، وقضية المجتمع البشري¹.

. الإستعانة بالتوبة والاستغفار، قال تعالى: {و قلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا {

. علاج البطالة:

لا يمكن أن يشكل الفقر ظاهرة ممدوحة، مادام الإسلام قد جعل تدابير للخلاص منه، والله عز وجل جعل الفقر عقوبة لبعض الأمم كما قال سبحانه: {وضرب الله مثلا قرية كانت ءامنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان، فكفرت بأنعم الله، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون { النحل 112، وجعل سبحانه اليسار والخير بمنزلة المكافأة على الاستقامة والأوبة إليه حين قال على لسان نوح: {فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا، يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا { نوح 11.12...²

¹ التغير وثبات - محمد قطب (ص 174)

² التنمية المتكاملة - رؤية إسلامية - أد/ عبد الكريم بكار - دار القلم دمشق ط 2001 ص

- إشاعة التعدد:

ينبغي أن يركز الإعلام والدعاة والمرشدون على الناس الأغنياء وإرشادهم إلى التعدد حتى تهضمه الأمة ويصبح ظاهرة.

- إنشاء صندوق للزواج:

يقوم هذا الصندوق بالمساهمة بين الدولة والمجتمع المدني كما هو مطبق في الإمارات والكويت.

- اهتمام جمعيات المجتمع المدني بالبحث على الزواج والمساعدة للراغبين فيه:

- تعميم التدريب في العلاقات الزوجية.

- تجفيف أماكن الفساد.

- قيام ندوات ومحاضرات في هذا الشأن.

- تقليل المهور.

- التمسوا الزرق في النكاح: وهذا لهؤلاء الذين عرفوا ربهم حق

المعرفة، قال تعالى: ﴿وَانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن

يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم﴾ النور 32

وجاء في الحديث: "عجبت لمن لا يلتمس الرزق في النكاح" والنبى

صلى الله عليه وسلم يؤكد ذلك فيقول "ثلاثة حق على الله عونهم المجاهد في

سبيل الله والمكاتب الذي يريد الأداء والناكح الذي يريد العفاف"

- وأخيرا الاستفادة ببعض الأنكحة المستجدة للضرورة الملحة .

و في الختام أسأل الله التوفيق والسداد و الله من وراء القصد.